مآلات المشهد الإسرائيلي في معركة طوفان الأقصى وما بعدها

ساهر غزاوي*

*ميزان لحقوق الانسان، الناصرة.

ملخص: شكلت عملية طوفان الأقصى في 7 أكتوبر 2023 صدمة كبيرة لدى الإسرائيليين، وتحوّلاً إستراتيجيًّا في مرتكزات تفكيرهم، ووضعتهم أمام معضلات ذات أبعاد وجودية، وأدخلت أجهزة الدولة والمجتمع الإسرائيلي كافة في حالة من اختلال التوازن لم تعهده «إسرائيل» من قبل. جاءت العملية في سياق مختلف لم تشهد «إسرائيل» مثيلاً له، ولاسيّما حالة التصدع داخل المجتمع الإسرائيلي، ما ينطوي عليها من تداعيات عميقة شتّى بدأت تظهر ملامحها حتى قبل انتهاء الحرب. من ناحية أخرى، تُعَدّ عمليّة طوفان الأقصى حدثًا مؤسِّسًا في تاريخ الصراع على أرض فلسطين؛ لن يكون أثرها آنيًّا فقط، بل ستمتد مآلاتها سنوات طويلة.

الكلمات المفتاحية: طوفان الأقصى، 7 أكتوبر، فلسطين، المشهد الإسرائيلي، تداعيات.

The Fate of the Israeli Scene in the Battle of "Al-Aqsa Flood" and Beyond

SAHER GHAZZAWI*

ORCID NO :0009-0002-0847-0093

*Meezaan for Human Rights, Nazareth.

ABSTRACT: *The "Al-Aqsa Flood" operation on October 7, 2023 represented a significant shock to the Israelis and a strategic shift in the foundations of their thinking. It placed them Infront of dilemmas of existential dimensions and plunged all state institutes and Israeli society into a imbalance that Israel had never experienced before. The operation came in a different context that Israel had never witnessed before, especially the rift within Israeli society, which entailed various profound repercussions that began to appear even before the end of the war. On the other hand, the "Al-Aqsa Flood" is considered a foundational event in the history of the conflict over the land of Palestine, leaving not only immediate impacts but also consequences that will extend for years to come.*

***Keywords**: Al-Aqsa Flood, October 7, Palestine, Israeli scene, ramifications.*

رؤيـــة تركيـــة
2024-(1/13)
35 - 50

DOI:10.36360/1560-013-001-004

مقدمة

تتناول هذه الورقة تداعيات عملية طوفان الأقصى وما بعدها على المشهد الإسرائيلي، هذه العملية التي كانت هجومًا كبيرًا ومباغتًا شنته حركة حماس على منطقة المستوطنات الإسرائيلية المحاذية لقطاع غزة، المعروفة باسم غلاف غزة صبيحة يوم 7 تشرين الأول 2023، اتّخذتها «إسرائيل» على الفور ذريعة لإعلان الحرب على القطاع تحت مُسمّى السيوف الحديدية، وهي لا تزال مستمرة. وبالرغم من أن عملية طوفان الأقصى كانت، بأي مقياس عسكري ممكن، عملية محدودة، فقد وصفها مسؤولون إسرائيليون بالتهديد الوجودي لدولة «إسرائيل»، إلا أنها حققت إنجازات قد تكون فاقت تطلعاتها[1].

ستكون لعملية طوفان الأقصى تأثيرات عميقة في المجتمع الإسرائيلي عمومًا، وفي المشهد السياسي والعسكري على وجه الخصوص، والتأثيرات الأعمق لم تحدث بعد، وهي التي نستعرضها في المحاور الآتية:

أولاً: المشهد الإسرائيلي عشية عملية طوفان الأقصى

حالة استقطاب سياسي واجتماعي عميقة

جاءت عملية طوفان الأقصى في سياق مختلف لم تشهد «إسرائيل» مثيلاً له، ولاسيّما حالة التصدع داخل المجتمع الإسرائيلي، والخلافات الحادّة بين المؤسسة العسكرية والحكومة على أثر الأزمة السياسية المتواصلة منذ شهر آذار 2023، بعد إعلان رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو عن توقف في التشريع القضائي، وإصرار التحالف الحاكم على المضي قدمًا بسنّ قانون «حجة المعقولية»[2]. وكان المشهد الداخلي الإسرائيلي في حالة تراجع جدي في المناعة الاجتماعية والقومية الموجود في حالة استقطاب عميقة كانت حتى قبل الخطة الحكومية لتقييد القضاء وبدء حركات الاحتجاج، تجلت في التراجع المستمر في ثقة الجمهور بمؤسسات الدولة، وبمستوى الحوكمة، وفرض سلطة الدولة وسلطة القانون، وكذلك في ابتعاد الدولة وقادتها عن الالتزام بالمصلحة العامة، والعمل على تحقيق مصالح حزبية أو شخصية ضيّقة[3]. في حين تزايدت الدعوات لرفض التطوع في قوات الاحتياط في الجيش الإسرائيلي، خصوصًا من قِبل طيارين في سلاح الجو، ووحدات القوات الخاصة، ووحدات السايبر التي بلغت وفق بعض الادّعاءات حد إلحاق ضرر بجهوزية سلاح الجو ووحدات عسكرية مهمّة أخرى، ونتيجة لذلك، حذّرت المؤسسة العسكرية والأمنية منذ بداية آب الماضي رئيس الحكومة من تداعيات التصدّع السياسي على جاهزية الجيش لأي

حرب قادمة، وعّبرت عن قلق بالغ حيال ظاهرة رفض التطوع في قوات الاحتياط، وادّعت أنها باتت تمسّ العصب الأساسي لقدرات الجيش والتدريبات[4]. وأشار مركز بحوث الأمن القومي التابع لجامعة تل أبيب (INSS) إلى أن الصراع السياسي يشكل خطرًا إستراتيجيًّا على الأمن القومي الإسرائيلي وصل إلى حد التهديد بالتفكك الاجتماعي الذي اتخذ طابعًا طبقيًّا وثافيًّا، مع تصاعد التهديدات الأمنية والضرر في العلاقات مع الولايات المتحدة والأزمة الاقتصادية[5]. ويتمثل التهديد الأكبر لـ «إسرائيل» في الإسرائيليين أنفسهم؛ نتيجة التدمير الذاتي التي يجرى العمل به في السنوات الأخيرة[6].

انكماش اقتصادي

عندما انطلقت عملية «طوفان الأقصى» لم يكن قد مضى سوى عامين على جائحة فيروس كورونا التي أفضت إلى أول انكماش اقتصادي يتعرض له الاقتصاد الإسرائيلي منذ انتفاضة الأقصى عام 2000. وقد أطلقت الحكومة مجموعة حزم إنعاش اقتصادية بتكلفة بلغت نحو 50 مليار دولار، وهذا أفضى إلى عجز قياسي في ميزانيتها، وارتفاع مديونيتها إلى نحو ثلاثة أرباع حجم اقتصادها الكلي[7]. ومع استمرار الحكومة في السير قدمًا بالخطة القضائية فإنّها وجّهت بذلك ضربة إضافية للاقتصاد أثارت مخاوف جدية بين أوساط اقتصادية واسعة في «إسرائيل» وخارجها، كانت قد حذرت من العواقب الوخيمة التي قد يجلبها ذلك على الاقتصاد الإسرائيلي في حال استمرت عملية التشريع[8]. بعد سنوات من النموّ الاقتصادي الناجح، أسفرت أزمة التعديلات القضائية عن تغيير واضح في الاتجاه. وفي الربع الأول من عام 2023، سجل مؤشر تل أبيب 125 انخفاضًا بنحو 9٪، في حين سجل نظيره في الولايات المتحدة وأوروبا زيادات بنحو 6 إلى 7٪ على التوالي. كما ضعف الشيكل أيضًا بسبب الأزمة، بحسب ما تصريح محافظ بنك «إسرائيل» في أوائل يونيو في مؤتمر «هورويتز» الاقتصادي. ومنذ انتخابات الكنسيت في تشرين الثاني 2022 وحتى نهاية أيار 2023، ضعف الشيكل بنحو 5٪ مقابل الدولار الأميركي، وهو ما ضعف بدوره مقابل عملات دول المنظمة للتعاون الاقتصادي والتنمية (OECD)، كما أن ضعف الشيكل يجعل الواردات إلى «إسرائيل» أكثر تكلفة، وهذا يسهم في ارتفاع تكاليف المعيشة[9]. في الواقع، تمنع هذه الأزمة المشاركة المركّزة والفعّالة في المعركة الحيوية ضد تكاليف المعيشة، وزيادة فرص العمل بين القطاعات المحرومة، بل إنها تؤدي إلى تفاقم تكاليف المعيشة والبطالة، والدليل على ذلك أن الموازنة المعتمدة تفتقر إلى مولدات النمو، وتقّلل من قدرة الصندوق الوطني على توجيه الميزانيات إلى القطاعات الأساسية[10].

التقديرات الإسرائيلية بشأن الجبهة الفلسطينية

أما التقديرات والتوصيات الإستراتيجية فيما يتعلق بالشأن الفلسطيني، فقبل السابع من أكتوبر كان يسود اقتناع جماعي لدى صُنّاع القرار في «إسرائيل» أن حركة حماس في حالة ردع عميق، وأنها لن تجرؤ على الإقدام على أيّ عمل عسكري تجاه إسرائيل[11]. كما تشير التوصيات الإستراتيجية إلى أنه لا بد من الحفاظ على التفاهمات القائمة مع حركة حماس بالاستناد إلى امتيازات اقتصادية ومدنية وسياسة أمنية حاسمة[12]. في هذا الإطار، يجري الترويج لمشروعات اقتصادية في مجالات إمدادات الغاز، وتحلية المياه، والصرف الصحي، واستمرار منح تصاريح العمل والتهدئة الأمنية والامتناع عن تصعيد الأوضاع الأمنية في القدس والضفة الغربية. بالتزامن مع ذلك، ضرورة تعميق دور مصر في القطاع بموافقة إسرائيلية لإنشاء ميناء على حدود مصر-غزة، ومنحها دورًا أكبر في تحويل الأموال القطرية إلى القطاع. وفي الوقت نفسه، على «إسرائيل» التحضير لـ«حملة عسكرية» بهدف تحييد القدرات الإستراتيجية لحماس (الصواريخ، والقذائف الصاروخية، والطائرات بدون طيار، والقدرات السيبرانية، والبنية تحت-الأرضية «الأنفاق»)[13].

ثانيًا: أثر عملية طوفان الأقصى» الفوري في المشهد الإسرائيلي

حالة الصدمة

مع استمرار الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، عقب بدء عملية طوفان الأقصى، يتكشف المزيد من الإخفاقات والفشل الاستخباراتي في منع الهجوم المفاجئ الذي شنته حركة المقاومة الإسلامية (حماس) على مستوطنات «غلاف غزة» والنقب الغربي، كما تتسع تداعيات معركة طوفان الأقصى باستنزاف الجيش الإسرائيلي عسكريًّا وماليًّا[14]. فقد دلّل نجاح حركة حماس في مباغتة «إسرائيل» على إخفاق جيشها ومخابراتها في توقع الهجوم وإحباطه بشكل مسبق، فـ«إسرائيل» رغم اعتدادها بكفاءة أجهزتها الاستخبارية وقدرتها عجزت عن الحصول على معلومات حول نوايا حماس لشن الهجوم، رغم أن عددًا كبيرًا من قيادات كتائب القسام وعناصرها كانوا منغمسين في التحضيرات لشنِّه منذ أمد بعيد، وكان يُفترَض أن يوفر ذلك الظروف للاستخبارات الإسرائيلية لجمع معلومات تفضي إلى إحباط الهجوم، أو على الأقل أن تقلص من نتائجه، هذا العجز من «إسرائيل» أحدث حالة «الصدمة» الكبيرة والانعكاس السلبي على معنويات الجيش والمجتمع الإسرائيلي كافة[15].

عمليًّا، تجلت التداعيات الأولية في «إسرائيل» بأنّ ما حصل في هجوم السابع من أكتوبر 2023 يُعَدّ انتكاسة متكررة لما حدث في عام 1973، بسبب وجود تقدير ضعيف بوقوع عملية كبيرة من شأنها أن تشعل حربًا حقيقية في عطلة الأعياد اليهودية[16]. وذهب الرئيس الأسبق لشعبة الاستخبارات عاموس يدلين إلى أبعد من ذلك في توصيفه؛ إذ قال: «الحديث ليس عن حرب عام 73، ربما تجب العودة إلى عام 1948»[17].

> انهارت معنويات المجتمع الإسرائيلي بعد اجتياح قوات حركة حماس مستوطنات في غلاف غزة وقواعد عسكرية ونتيجة الخسائر الكبيرة التي تكبدها الجيش الإسرائيلي في صفوفه

تراجع الثقة بالقيادة السياسية والعسكرية

نتيجة لانهيار الدفاعات العسكرية الإسرائيلية على حدود غزة، واجتياح قوات حركة حماس بلدات وقواعد عسكرية، والخسائر الكبيرة التي تكبدها الجيش الإسرائيلي في صفوفه- انهارت كذلك معنويات المجتمع الإسرائيلي، وتهاوت الثقة بالحكومة والوزارات ومؤسسات الدولة. وقد أظهرت دراسة جديدة حدوث تراجع كبير في مؤشر المناعة القومية والمجتمعية والشخصية في «إسرائيل»، منذ 7 أكتوبر الماضي، وتراجعت ثقة الجمهور بمؤسسات الدولة[18]. هذا الشعور انعكس في مواقف المجتمع الإسرائيلي، على نحو ما بيّنت استطلاعات الرأي العام بعد أيام من بداية الحرب، فقد أظهر استطلاع رأي نُشِر في 12/ 10/ 2023 أن 84٪ من الإسرائيليين اليهود (الاستطلاع لا يشمل العرب) يعتقدون أن القيادة السياسية مسؤولة عن الإخفاق الذي أدى إلى هجوم حماس على غلاف غزة، و94٪ يعتقدون أن حكومة نتنياهو الحالية هي المسؤولة عن الوضع الذي أدى إلى انهيار المنظومة الدفاعية كلها عن البلدات في جنوب «إسرائيل». ويرى 67٪ من الإسرائيليين، بما في ذلك 56٪ من ناخبي حزب الائتلاف بقيادة نتنياهو، أن الفشل والتعرض للإذلال في عام 2023 أكبر من الفشل والإذلال الذي تعرضت له «إسرائيل» في حرب «يوم الغفران» في عام 1973[19]. ويُظهر آخر استطلاع الرأي العام الإسرائيلي الذي أجراه معهد بحوث الأمن القومي في جامعة تل أبيب في 4/ 2/ 2024، تراجع الثقة بالقدرة على تحقيق النصر في الحرب على غزة[20].

خطاب الشيطنة وتسويغ الإبادة الجماعية

انعكست حالة «الصدمة» الكبيرة لدى الإسرائيليين في عملية إنتاج الوعي والذاكرة في المجتمع الإسرائيلي، وأخذت عملية طوفان الأقصى تأطيرات كثيرة في الخطاب الإسرائيلي تُمثل حجم الصدمة، وقد تباينت فيما بينها؛ فمنها ما عَدّ

الهجمات تشبه هجمات 11 سبتمبر/ أيلول على الولايات المتحدة، وهناك من رأى فيها استمرارًا للكارثة اليهودية (الهولوكوست) من خلال وصف العملية بأنها أكبر «بوغروم»؛ أي اعتداءات جماعية على اليهود منذ الكارثة اليهودية، واصفين منتسبي حماس بـأنهّم إمّا نازيون وإمّا دواعش[21]. وقد ارتكز الخطاب الإسرائيلي الموجّه إلى الجمهور الإسرائيلي على نزع الإنسانية عن الفلسطينيين (Dehumanization)؛ بهدف نزع أيّ تعاطف معهم، وتسويغ الممارسات العنيفة ضدهم، بالقتل عبر القصف، أو الحصار والتجويع، أو بتدمير المباني على رؤوس ساكنيها، من المدنيين والعزل من الأطفال والنساء وكبار السن من دون أيّ رحمة، أو رأفة، أو تأثُّر بمشاهد الأطفال والأبرياء وأشلائهم بعد قصف بيوتهم[22]. يتجسد ذلك في تصريح وزير الحرب الإسرائيلي يوآف غالانت في معرض حديثه عن شنّ عدوان على قطاع غزة بقوله: «نحن نحارب حيوانات بشرية». وذلك في تسويغه قطع الكهرباء والماء والطعام عن قطاع غزة[23]. كما انتشرت عبارات مثل «يجب محو غزة» أو «تسويتها بالأرض»، من دون استعداد لقبول أي نوع من المساواة بين القتلى الإسرائيليين المدنيين والقتلى الفلسطينيين المدنيين، وتفسر هذه الصدمة التجنيد الكبير في المجتمع الإسرائيلي، والتأييد الشامل لعملية عسكرية إسرائيلية قاسية في القطاع سواء من الجو أم من خلال دعم عملية برية للقضاء على حكم حركة حماس في قطاع غزة، وهذا يُظهر جليًّا المواقف المتطرفة داخل المجتمع الإسرائيلي تجاه قطاع غزة كاملاً لا تجاه حركة حماس فقط[24].

في السياق نفسه، تجندت المعارضة الإسرائيلية إلى جانب الحكومة والجيش وتشكيل حكومة طوارئ لإدارة الحرب، بمشاركة حزب «المعسكر الرسمي» بقيادة وزير الأمن السابقيْن بيني غانتس وغادي أيزنكوت اللذيْن لا تختلف مواقفهما عن مواقف الإجماع الأمني الإسرائيلي، ومنها اجتياح غزة البري، والأهم احتمال فتح جبهة ثانية على الحدود الشمالية مع حزب الله[25].

تراجع الاقتصاد الإسرائيلي

في أول تقديرات لتداعيات عملية طوفان الأقصى على الاقتصاد الإسرائيلي، رجح مسؤول كبير في وزارة المالية الإسرائيلية أن بلاده ستضطر لإنفاق مبالغ كبرى لتمويل الحرب ضد المقاومة الفلسطينية عمّا قدره البنك المركزي الإسرائيلي أن عجز الموازنة في 2023 سيبلغ 2.3٪ من الناتج الإجمالي المحلي و3.5٪ في 2024، مقابل تحقيق فائض 2022 في حال بقي الصراع مقصورًا على قطاع غزة ولم يمتد لجبهات

أخرى[26]. وتواجه «إسرائيل» عمليًّا أزمة اقتصادية غير مسبوقة جراء حربها المستمرة على قطاع غزة منذ نحو أربعة أشهر، وقد حث البنك المركزي الإسرائيلي الحكومة على ضرورة اتخاذ خطوات فورية للحد من تراجع الناتج المحلي الإجمالي، وضرورة وضع خطة اقتصادية لتدارك حجم الخسائر غير المسبوقة. ويتركز التراجع في قطاعات التقنية والزراعة والبناء والسياحة، وطالب البنك برفع الضرائب؛ لاحتواء تكاليف الحرب[27]. يضاف إلى أن الشركة العالمية لتدريج متانة اقتصاد الدول أمام الاعتمادات الدولية «موديز» أعلنت يوم التاسع من شباط 2024، تخفيض تدريج «إسرائيل» بدرجة واحدة، من A1 إلى A2، مع تقديرات مستقبلية سلبية للاقتصاد الإسرائيلي، التي يرى بها المحللون أنها مقدمة لتخفيض آخر سيليه، فيما ظهرت تخوفات من أن قرار «موديز» سيجر وراءه قرارًا مشابهًا من شركتي التدريج العالميتين الأُخرَيين، «فيتش» و«ستاندرد أند فور»، والثانية تُعَدّ الأهم من ناحية البنوك الإسرائيلية، وقرارها يؤثر مباشرة في اعتماداتها المالية في العالم[28].

ثالثًا: المشهد الإسرائيلي ما بعد عملية طوفان الأقصى

هناك ثمة إجماع أن معركة طوفان الأقصى وما تبعها من الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، لن تُعَدّ مرحلة عابرة في تاريخ الصراع على أرض فلسطين، بل هي حدث مؤسِّس لن تترك أثرًا آنيًّا فقط، بل ستمتد مآلاتها سنوات، ومرشحة للمزيد من الأزمات السياسية الداخلية والاقتصادية، وستغير قواعد الصراع، وسيكون لها تداعيات إقليمية ودولية كبيرة[29]. بمعنى أن «إسرائيل» بعد المعركة ليست كما قبلها. ويشير المؤرخ الإسرائيلي، إيلان بابيه في هذا السياق إلى أن ما يحصل في «إسرائيل» يؤكد «بداية نهاية المشروع الصهيوني»، ويرى أن معركة طوفان الأقصى مثّلت لحظة فارقة في مستقبل مشروع «إسرائيل» نفسه، فقد أثبتت أن المؤسسة العسكرية والسياسية والبنية المجتمعية الإسرائيلية لم تعد مستعدة للحروب الخاطفة التي كانت تثبت بها أركان المشروع، وخلخلت الخسائر منذ يوم 7 أكتوبر أركان هذا المشروع بعنف على المستوى الإستراتيجي، وضغط موضوعُ الأسرى والمحتجزين بشدة على بنية المجتمع الإسرائيلي[30].

وتمكن الإشارة إلى مجموعة من تداعيات ما بعد طوفان الأقصى على المشهد الإسرائيلي وفق النحو الآتي:

معضلة اليوم التالي للحرب

يكثر الحديث مؤخرًا عن تصور سياسي إسرائيلي لما يُسمّى ما بعد الحرب، وستعود القضية الفلسطينية إلى الواجهة، ويعود نضال الشعب الفلسطيني ومطلبه بالحرية والاستقلال إلى لبّ النقاش والتصدع السياسي في «إسرائيل»[31]. وحتى الآن، لا تملك «إسرائيل» تصوّرًا سياسيًّا واضحًا أو -على الأقل- تصورًا توافقيًّا على اليوم التالي. هنالك توجهات متباينة داخل الحكومة بهذا الشأن، وهي واحدة من نقاط الخلاف بين «إسرائيل» والولايات المتحدة. كما أن جزءًا من الفوضى السياسية والإستراتيجية الإسرائيلية نابعة من عدم تحقيق الأهداف العسكرية' وبخاصة ما يتعلق بالقضاء على حركة حماس، حتى الولايات المتحدة الأمريكية قالت: إن هذا الهدف غير واقعي، لذلك ترى في الأفق السياسي خيارًا لتحقيق هذا الهدف من خلال إزاحة حماس عن السلطة لا القضاء عليها عسكريًّا[32]. وفي السياق نفسه، فإن رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو، قدّم خطة للمجلس الوزاري الأمني المصغر (الكابينت) تُعَدّ وثيقة مبادئ تتعلق بسياسة اليوم التالي لحرب غزة، تتضمن احتفاظ «إسرائيل» بحرية العمل في كامل قطاع غزة من دون حد زمني، كما تتضمن إقامة منطقة أمنية في القطاع متاخمة للبلدات الإسرائيلية. وتنصّ كذلك على إبقاء «إسرائيل» على الإغلاق الجنوبي على الحدود بين غزة ومصر، وتشتمل أيضًا

على بند إغلاق وكالة الأونروا وأن تحل محلها وكالات إغاثة دولية أخرى[33]. والمفارقة في هذا الصدد، أنّ الولايات المتحدة الأمريكية تدعم «إسرائيل» في حربها عسكريًّا ودبلوماسيًّا واقتصاديًّا، ولكن «إسرائيل» هي العائق الأساسي أمام التصور السياسي الأمريكي لليوم التالي، وكل ذلك على فرض أن «إسرائيل» نجحت في تحقيق أهدافها[34].

تعمق الأزمة الداخلية الإسرائيلية

من المتوقع أن تتسع التصدعات السياسية والاجتماعية الإسرائيلية نتيجة تخبط الحكومة في إدارة الملفات المدنية، منها الملف الاقتصادي، وملف التعامل مع الجبهة الداخلية، ليشمل النقاش حول مسؤولية ونتائج الإخفاق الكبير في 7 أكتوبر[35]. وبغضّ النظر عن نتائج الحرب بعد انتهائها، سيكون ثمة انقسام عميق داخل المجتمع الإسرائيلي أكثر مما كان عليه قبل الحرب. وسيتمحور الانقسام على الأساس الديني والاقتصادي الطبقي والأيدلوجي[36]. ويبني إيلان بابيه نظريته في نهاية المشروع الصهيوني بالأساس على عوامل التفكك الداخلي بين المعسكرين العلماني والمتدين التي ستزداد وتتعمق باختبار القوة التي لم تكن في مصلحة «إسرائيل» هذه المرة، والضغوط الاقتصادية والاجتماعية، وفقدان اليقين في استمرارية المشروع نفسه[37]. في حين لا يُبدي نتنياهو أي علامات تشير إلى نيّته التنحي عن منصبه أو الاعتراف بمسؤوليته عما حدث، وبأن سياسته في الأعوام الأخيرة، خصوصًا منذ تشكيل الحكومة الأخيرة، أدت إلى إضعاف «إسرائيل» وتراجع قدراتها العسكرية، وتماسكها الداخلي الذي عُدّ تاريخيًّا مركَبًا مهمًّا من مَرْكَبات الأمن القومي[38]. كما أن تعنت نتنياهو في التنحي عن منصبه يزيد من تعمق الأزمة الداخلية الإسرائيلية بالرغم من أن جزءًا كبيرًا من الرأي العام الإسرائيلي يطالبه بتحمل مسؤولية الإخفاق والاستقالة فورًا، وعدم انتظار انتهاء الحرب لمحاسبة المسؤولين عن الإخفاق. ورغم إعلان قادة الأجهزة الأمنية في «إسرائيل» تحملهم المسؤولية منذ بدء العملية في غلاف غزة، فإنّ نتنياهو بقي مصرًا على عدم إعلان مسؤوليته عن الإخفاق[39]. ورغم كل ذلك، فإنّ من المتوقع أن تتفكك حكومة الطوارئ بخروج حزب المعسكر الرسمي منها، وأن تجري انتخابات جديدة بعد حركة احتجاج متصاعدة ضدّ الحكومة الحالية برئاسة نتنياهو، وأن تفوز المعارضة في الانتخابات، وأن يجري تشكيل حكومة برئاسة بني غانتس، بمعنى أن فوز المعارضة سيدفع نتنياهو للاستقالة من الليكود وخروجه من المشهد السياسي، وسيتجمد مشروع التغييرات الدستورية التي بدأت في عهد حكومة نتنياهو الحالية، وقد نرى صعود قيادات يمينية جديدة تسعى للسلطة[40]. فقد أظهر آخر استطلاع رأي لصحيفة معاريف الإسرائيلية تصاعد شعبية الوزير في مجلس الحرب بيني غانتس وحزبه «الوحدة الوطنية»، واعتقاد 32٪ فقط من الإسرائيليين بأن بنيامين نتنياهو هو

الأنسب لرئاسة للحكومة[41]. وهذا يدلل على عودة النزعة العسكرية في الثقافة الإسرائيلية بعد فقدانهم للأمن والأمان في 7 أكتوبر، بحيث سيتركز الهمّ في البحث عن «رجال الدولة» من ذوي النزعة العسكرية القادرين على أداء المهمة في قيادة «إسرائيل» في هذه المرحلة المعقدة والصعبة على جميع المستويات وإعادة الثقة بـ«إسرائيل» وقدرتها على الاستقرار والاستمرار، مع الإشارة إلى أن هذه النزعة العسكرية قد تراجعت في آخر 20 سنة في الثقافة الإسرائيلية، ولم تعد ذات أهمية[42].

تفاقم الأزمة الاقتصادية

سيكون لعملية طوفان الأقصى ارتدادات عميقة على الاقتصاد الإسرائيلي؛ ليس بسبب التكلفة المالية المباشرة المرتبطة بتمويل العمليات العسكرية فحسب، بل أيضًا، وعلى نحو أكثر حدة، بسبب التأثيرات الممتدة والمتوالية التي ستجعل الاقتصاد الإسرائيلي يفقد توازنه فترة من الوقت. لكن هذه التأثيرات وعمقها وامتدادها الزمني سيكون كله أكثر ارتهانًا بحالة عدم اليقين بعد الانهيار الكبير الذي تعرضت له المنظومة الأمنية والعسكرية الإسرائيلية يوم 7 تشرين الأول/ أكتوبر[43]. وسبق أن ذكرنا في هذه الورقة، أن «إسرائيل» عانت تراجعَ الحالة الاقتصادية قبل بداية الحرب، وتقليصَ الاستثمارات الخارجية، وضعضعةَ مكانتها الاقتصادية العالمية، وبوادرَ لتراجع تدريجها في الائتمان الدولي، نتيجة الخطة الحكومية لتقييد القضاء والاحتجاج السياسي ضدها، وموقف قطاع الأعمال المعارض للخطة. ومن المتوقع، وفقًا لجميع التقارير والتقديرات الاقتصادية الإسرائيلية تراجع الحالة الاقتصادية بشكل جدي بعد الحرب، ودخول الاقتصاد الإسرائيلي حالة ركود، وارتفاع العجز المالي للحكومة بقرابة 7٪ من الناتج المحلي، وارتفاع البطالة وتراجع مستوى المعيشة، وتقليصات في ميزانية الدولة ورفع الضرائب[44]. ولن تقتصر تبعات الحرب على أعبائها المالية المباشرة، بل ستمتد إلى الطلب المحلي أيضًا، بشقيه الاستهلاكي والاستثماري، الذي من المتوقع أن يشهد تراجعًا ملحوظًا؛ بسبب الخوف، وتراجع ثقة المستهلكين والمستثمرين. فالشواهد التي تبدو، من خلال ردود فعل المجتمع الإسرائيلي وحالة الارتباك الشديدة التي يعيشها، تؤدّي إلى استنتاج مفاده أن الاقتصاد الإسرائيلي يتجه نحو أزمة عميقة ستكون أطول، وستكون أعمق أثرًا من أي وقت مضى[45]. وبحسب خبراء الاقتصاد الإسرائيليين، فإن المعالجات لن تكون سهلة المسار، وإذا كان هناك في الماضي توتر داخلي بين الأمن والاقتصاد، فمن الواضح الآن أن الحرب بحاجة إلى الانتهاء بطريقة جيدة من أجل استعادة ثقة المستثمرين، ولاسيّما أن «هذه الحرب لا تشبه أي شيء شهدته (إسرائيل) في العشرين عامًا الماضية من حيث التأثيرات على الاقتصاد، خاصة وأن الإنفاق الدائم الكبير هو زيادة في نسبة ميزانية الدفاع

(الحرب) من الناتج المحلي الإجمالي التي سترتفع من 4.6 إلى حوالي 6 في المئة، في سيناريو متفائل نسبيًّا سنعود عقدًا من الزمن إلى الوراء»[46].

تراجع مكانة «إسرائيل» دوليًا

على صعيد الرأي العام العالمي، بما في ذلك الرأي العام الغربي، تبلورت صورة مختلفة إلى حد كبير. فبعد تردد أولي، وحَيرة تسبّب فيها الانحياز الإعلامي الغربي الصارخ للرواية الإسرائيلية، تحركت جموع حاشدة في مدن العالم الكبرى كافة، دعت إلى وقف إطلاق النار، وحمّلت الجانب الإسرائيلي المسؤولية عن اندلاع الحرب والكارثة الإنسانية التي يشهدها قطاع غزة[47]. وقد تحولت «إسرائيل»، إلى حد بعيد، إلى دولة منبوذة في الرأي العام الدولي، وباتت في خانة دولة احتلال تنفذ جرائم حرب. وهي صورة مختلفة تمامًا عما عملت واجتهدت «إسرائيل» والمؤسسات الصهيونية في تسويقها قرابة قرن، كما أن خضوع «إسرائيل» للمحاكمة في محكمة العدل الدولية بتهمة إبادة شعب، حَوَّل «إسرائيل» إلى متهمة رسمية بجرائم حرب وإبادة شعب، مع توثيق وتدعيم بقرائن وأدلة عديدة[48]. وعلى المدى المتوسط، قد تمتنع القيادات الإسرائيلية من السفر إلى الخارج؛ لأنها قد تواجه دعاوى جنائية بناء على قرار محكمة العدل الدولية. أما على المدى البعيد، فإن امتناع «إسرائيل» المتوقع عن تنفيذ القرار، يضعها في عزلة

دولية متزايدة، يقضي على الإنجازات الدبلوماسية التي حققتها في سبيل الاندماج الدولي والإقليمي، وهو الهدف الدبلوماسي الرئيس الذي تطلعت إليه منذ نشأتها[49].

وعلى مستوى السياسة الخارجية الإسرائيلية، من المتوقع السعي لفتح مسار التطبيع من جديد مع دول عربية برعاية أمريكية، في حالة تغيير الحكومة الإسرائيلية الحالية. ومن المتوقع كذلك تراجع مكانة «إسرائيل» على المستوى الدولي؛ بسبب عدوانها على غزة، ومن ذلك تراجع العلاقات بين «إسرائيل» وروسيا والصين في المرحلة القادمة، ويرتبط مسار العلاقات مع مصر والأردن وتركيا بمآلات الحرب على غزة[50].

خاتمة

أدّت عملية طوفان الأقصى إلى انهيار مفاهيم إسرائيلية مركزية سيكون لها ارتدادات عميقة على المشهد الإسرائيلي؛ سواء على المستوى السياسي أم الاقتصادي أم الداخلي، وحتى على الإستراتيجية العسكرية، إلى جانب تداعيات إقليمية ودولية كبيرة. فـ«إسرائيل» لن تنجح في تحقيق أهدافها المعلنة من الحرب على غزة، وعوضًا عن ذلك ستتحول إلى دولة معزولة. وإنّ إصرار رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتنياهو على «تحقيق النصر» من دون سياسة إستراتيجية بعيدة المدى، مع غياب أي مخرج من هذه الأزمة في الوقت الراهن- سيزيد من التآكل الإسرائيلي الداخلي، كما أن صدمة طوفان الأقصى، وانهيار نظرية الحرب الخاطفة التي أخفت عوامل الوهن طويلاً- سيعرّضان المشروع الصهيوني لاختبار وجودي في المنطقة.

الهوامش والمراجع:

1. طوفان الأقصى: انهيار الردع الإسرائيلي ومحاولات استعادته، مركز الجزيرة للدراسات، 8 تشرين الثاني 2023، شوهد في 25/2/2024، في https://2u.pw/XtIZhI5.
2. مدى الكرمل، تداعيات أولية للحرب على غزة، تقدير موقف، تشرين الأول 2023، شوهد في 21/2/2024، في https://2u.pw/qZe5ziS
3. إمطانوس شحادة، الانقسام في المجتمع الإسرائيلي: تهديد للأمن القومي، (20 تموز 2023)، شوهد في 21/2/2024، في https://2u.pw/n01LoE1.
4. عاموس هرئيل، نتنياهو يحاول تهديد كبار مسؤولي الجيش الإسرائيلي، ويخفي خطورة الوضع عن الجمهور، هآرتس [بالعبرية]، 14 آب 2023، شوهد في 21/2/2024، في https://2u.pw/UiWAQwZ.
5. مائير الرن وكوبي ميخائيل، الأزمة الاجتماعية والسياسية المؤسسة في إسرائيل: خصائصها وتداعياتها على الأمن القومي، مركز بحوث الأمن القومي (INSS) [بالعبرية]، تموز 2023، شوهد في 21/2/2024، في https://2u.pw/JKrLBrH.

6. عامي دومبا، رئيس الموساد الأسبق: «إسرائيل فعّلت آلية التدمير الذاتي»، «إسرائيل» ديفنس [بالعبرية]، 23 أيار 2023، شوهد في 21/2/2024، في https://2u.pw/a3WY9t2.

7. تداعيات «طوفان الأقصى» على الاقتصاد الإسرائيلي: تكاليف باهظة وآفاق مستقبلية قاتمة، تقدير موقف، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، 30 تشرين أول 2023، شوهد في 21/2/2024، في https://2u.pw/i94eXEn.

8. إمطانوس شحادة، مصدر سابق.

9. بنك إسرائيل، أنشطة بنك «إسرائيل» في مجال الإعلام والمعلومات الاقتصادية للجمهور، تقرير سنة 2022، أيلول 2023، https://2u.pw/XmqzS5r.

10. مائير الرن وكوبي ميخائيل، مصدر سابق.

11. مدى الكرمل، مصدر سابق.

12. عبد القادر بدوي، بالعودة إلى ما قبل السابع من أكتوبر، كيف كانت التقديرات والتوصيات الإستراتيجية الإسرائيلية؟، مدار- المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 9 كانون الأول 2023، شوهد في 21/2/2024، في https://2u.pw/svJyHDq.

13. أودي ديكل ونوا شوسترمان، الساحة الفلسطينية: التحدي الأساسي – وقف الانزلاق إلى واقع الدولة الواحدة، ، مركز أبحاث الأمن القومي (INSS) [بالعبرية]، تقدير إستراتيجي لإسرائيل 2022، شوهد في 21/2/2024، في https://2u.pw/lDrrkWK.

14. محمد وتد، إخفاق عسكري وانقسام.. هكذا زعزع «طوفان الأقصى» إسرائيل، الجزيرة نت، 12 كانون الثاني 2014، شوهد في 22/2/2024، في https://2u.pw/CtOGK0P.

15. صالح النعامي، عملية «غلاف غزة» ودلالاتها، مركز الجزيرة للدراسات، 8 تشرين الأول 2023، شوهد في 22/2/2024، في https://2u.pw/JreON9i.

16. إيهود يعاري، الهجوم الإيراني المفاجئ: حماس في المقدمة ونصر الله ينتظر، القناة 12 [بالعبرية]، 7 تشرين الأول 2023، شوهد في 22/2/2024، في https://2u.pw/qVw2WJI.

17. الشاشات الإسرائيلية: أين الجيش؟، عرب 48، 7 تشرين الأول 2023، شوهد في 22/2/2024، في https://2u.pw/nLsrfqD.

18. إيتي جال، انخفاض في مؤشر المناعة الإسرائيلية: محبط، فقدان الأمل، عدم الثقة في القيادة، معاريف [بالعبرية]، 18 شباط 2024، شوهد في 23/2/2024، في https://2u.pw/1BAYnNE.

19. بن كاسبيت، أغلبية ساحقة من الجمهور: القيادة هي المسؤولة عن الفشل. أكثر من النصف – على نتنياهو أن يستقيل، واللا [بالعبرية]، 12 تشرين الأول 2023، شوهد في 22/2/2024، في https://2u.pw/pvztwKW.

20. نتائج استطلاع «السيوف الحديدية» – فبراير 2024، مركز أبحاث الأمن القومي (INSS) [بالعبرية]، 4 شباط 2024، شوهد في 22/2/2024، في https://2u.pw/E4vcGn2.

21. مهند مصطفى، المشهد السياسي والعسكري في «إسرائيل» بعد «طوفان الأقصى»، مركز الجزيرة للدراسات، 28 تشرين الأول 2023، شوهد في 22/2/2024، في https://2u.pw/d6aljdj.

22. أشرف بدر، الخطاب الإسرائيلي في «طوفان الأقصى»، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 12 تشرين الأول 2023، شوهد في 22/2/2024، في https://2u.pw/xngaKOe.

23. يوآف زيتون، غالانت: «سيتم فرض حصار كامل على القطاع ونحن نحارب حيوانات بشرية»، واي نت [بالعبرية]، 9 تشرين الأول 2023، شوهد في 22/2/2024، في https://2u.pw/ZaPlN51.

24. مهند مصطفى، المشهد السياسي والعسكري في «إسرائيل» بعد «طوفان الأقصى»، مصدر سابق.

25. مدى الكرمل، مصدر سابق.

26. ناتي تاكر، الضربة الاقتصادية وصلت بالفعل: العجز تضاعف تقريبا في أكتوبر ليصل إلى 2.6% وهذه مجرد البداية، ذا ماركر [بالعبرية]، 8 تشرين الثاني 2023، شوهد في 22/2/2024، في https://2u.pw/YZXLvqE.

27. شاهر الأحمد، بعد 106 أيام لحرب غزة.. ما أهم التداعيات الاقتصادية على إسرائيل؟، الجزيرة، 21 كانون الثاني 2024، شوهد في 22/2/2024، في https://2u.pw/XLa2hRh.

28. أدريان بيلوط، موديز في تقرير شديد اللهجة عن إسرائيل: خفضت تصنيفها الائتماني إلى A2 مع نظرة مستقبلية سلبية، كلكليست [بالعبرية]، 9 شباط 2024، شوهد في 22/2/2024، في https://2u.pw/k7rfcLJ.

29. الحرب على غزة.. مآلاتها فلسطينيًا وإسرائيليًا، مركز رؤية للتنمية السياسية، 19 شباط 2024، شوهد في 23/2/2024، في https://2u.pw/wtP380Z.

30. زهير حمداني، مأزق نتنياهو أم أزمة كيان؟..»طوفان الأقصى» الذي هز المشروع الإسرائيلي، الجزيرة، 25 كانون الثاني 2014، شوهد في 24/2/2024، في https://2u.pw/Ek3a8ti.

31. إمطانوس شحادة، حرب غزة... معضلة اليوم التالي إسرائيليًا، العربي الجديد، 15 كانون الثاني 2024، شوهد في 24/2/2024، في https://2u.pw/V9GhuTg.

32. طه اغبارية، بعد 98 يومًا من الحرب على غزة.. د. مهند مصطفى: تهجير سكان القطاع كان الهدف المركزي غير المعلن للحرب.. يوجد رفض دولي لهذا المشروع، موطني 48، 12 كانون الثاني 2024، شوهد في 23/2/2024، في https://2u.pw/ZXkPDyc.

33. باراك رفيد، وثيقة «اليوم التالي»: نتنياهو لا يستبعد مشاركة السلطة الفلسطينية في غزة، واللا [بالعبرية]، 23 شباط 2024، شوهد في 23/2/2024، في https://2u.pw/DAwk8sM.

34. طه اغبارية، بعد 98 يومًا من الحرب على غزة، مصدر سابق.

35. إمطانوس شحادة، حرب غزة... معضلة اليوم التالي إسرائيليًا، مصدر سابق.

36. مهند مصطفى، المسارات المتوقعة للسلوك السياسي والعسكري الإسرائيلي خلال سنة 2024، ندوة بعنوان "المسارات المتوقعة لقضية فلسطين في سنة 2024 في ضوء معركة طوفان الأقصى"، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 24 كانون الثاني، شوهد في 24/2/2024، في https://2u.pw/xqVUN9O.

37. زهير حمداني، مصدر سابق.

38. إمطانوس شحادة، حرب غزة... معضلة اليوم التالي إسرائيليًا، مصدر سابق.

39. مهند مصطفى، المشهد السياسي والعسكري في «إسرائيل» بعد «طوفان الأقصى»، مركز الجزيرة للدراسات، 28 تشرين الأول 2023، شوهد في 24/2/2024، في https://2u.pw/RU6XUaG.

40. مهند مصطفى، المسارات المتوقعة للسلوك السياسي والعسكري الإسرائيلي خلال سنة 2024، مصدر سابق.

41. موشي كوهين، استطلاع معاريف: غانتس يواصل الصعود، كم حصل الليكود؟، معاريف [بالعبرية]، 26 كانون الثاني 2024، شوهد في 24/2/2024، في https://2u.pw/SIYqINE.

42. مهند مصطفى، المسارات المتوقعة للسلوك السياسي والعسكري الإسرائيلي خلال سنة 2024، مصدر سابق.

43. تداعيات «طوفان الأقصى» على الاقتصاد الإسرائيلي: تكاليف باهظة وآفاق مستقبلية قاتمة، تقدير موقف، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، 30 تشرين أول 2023، شوهد في 24/2/2024، في https://2u.pw/i94eXEn.

44. إمطانوس شحادة، حرب غزة... معضلة اليوم التالي إسرائيليًّا، مصدر سابق.

45. تداعيات «طوفان الأقصى» على الاقتصاد الإسرائيلي: تكاليف باهظة وآفاق مستقبلية قاتمة، مصدر سابق.

46. عديئيل موستكي، شاكيد غرين، كبير الاقتصاديين في اليوم التالي للحرب: «لم نشهد شيئًا كهذا منذ 20 عامًا، وستكون هناك حاجة لزيادة الضرائب»، كلكليست [بالعبرية]، 8 كانون الثاني 2024، شوهد في 24/2/2024، في https://2u.pw/pVvBpkR.

47. طوفان الأقصى: انهيار الردع الإسرائيلي ومحاولات استعادته، مركز الجزيرة للدراسات، 8 تشرين الثاني 2023، شوهد في 24/2/2024، في https://2u.pw/XtIZhI5.

48. إمطانوس شحادة، حرب غزة... معضلة اليوم التالي إسرائيليًّا، مصدر سابق.

49. الحواس تقية، إدانة إسرائيل: تفكيك خيوط الحكم، مركز الجزيرة للدراسات، 30 كانون الثاني 2024، شوهد في 24/2/2024، في https://2u.pw/ZsJvOoa.

50. مهند مصطفى، المسارات المتوقعة للسلوك السياسي والعسكري الإسرائيلي خلال سنة 2024، مصدر سابق.

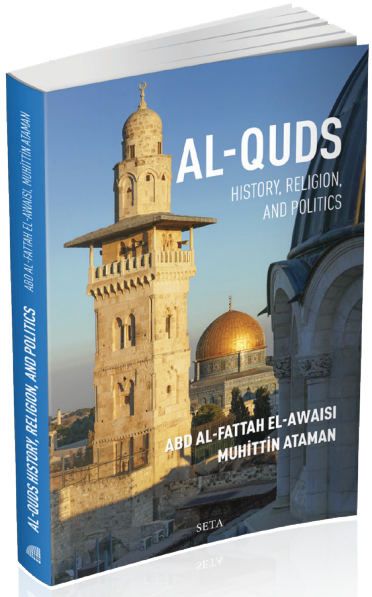

Al-Quds | History, Religion and Politics

September 2019 | Abd al-Fattah EL-AWAISI, Muhittin ATAMAN

Considering the transformation process in the Middle East and the global transition, it is clear that the Palestinian-Israeli question and the issue of al-Quds will continue to dominate the agenda of the Middle East and global system. Recent regional developments such as Trump's decision regarding the future of Jerusalem and the solution proposal called the "Deal of Century" by the Trump Administration demonstrate that the holy city of al-Quds will continue.

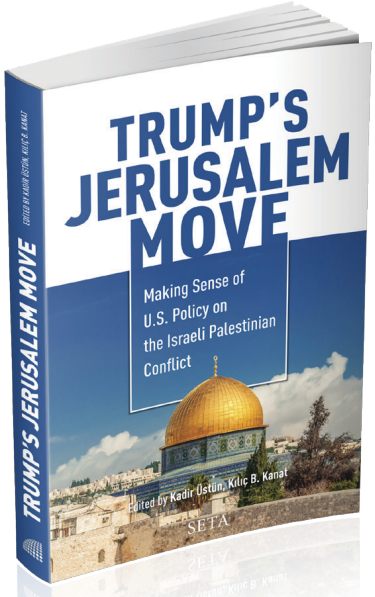

Trump's Jerusalem Move

April 2020 | Kadir Üstün, Kılıç Buğra Kanat

This critically important book includes chapters both contextualizing and discussing the U.S. administration's Jerusalem declaration in great detail. Various sections authored by American, Latin American, European, and Turkish authors examine the international responses to the U.S. President Trump's declaration.

setavakfi setadc setav setavakfi
www.setav.org/en • books@setav.org

SETA